مُناقشات

الفراغ العقائدي .. تملاه عقيدتنا

بقلم ميشيل جرجوس

في بحث قامت بنشره « الاداب » في عددها الاخير تحت عنوان « معركتنا مع الشيوعية » كتب الدكتور فائز صائغ يقول « بأن الشيوعية حركة تآمرية .. ودعوة لخلق مجتمع شيوعي .. وهي اخيرا عقيدة لا تحارب الا بعقيدة تقع مسؤولية تحمل اعبائها على عاتق الافراد والهيئات الاهلية والاحزاب القومية ـ وعلى عاتق المفكرين قبل الجميع ـ لا على عاتق الحكومات » .

« والشيوعية لا تقاوم مقاومة جدية الا عندما تقدم القومية العربية المتحررة عقيدة اجتماعية ذات محتوى مفهوم يحاول ملء الفراغ العقائدي الذي تفتقر اليه القومية العربية ، ورجال الفكر مدعوون الى صياغة هذه العقيدة وتحديد مفاهيمها ، واستكمال محتواها ، وتعميق معناها ... ولن يتوفر لنا الفلاح في مقاومة الشيوعية الا حين نعمل على استبدال الفراغ العقائدي بعقيدة واضحة متحوطين في الوقت عينه دون انتحال العقيدة لنفسها صفة الشمول الكلي ... » ...

انه لصحيح ـ الى ابعد حدود الصحة ـ ان الشيوعية حركة ثورية دكتاتورية هدامة .. وحركة تآمرية تطمح الى خلق مجتمع شيوعي يكون ـ في كل وجوهه ـ نسخة طبق الاصل عن الاحزاب الشيوعية العالمية التي ربطت مصيرها بموسكو ، دون ان تعير ثمة انتباها ، او اهمية للمنبت الذي تنمو فيه الشيوعية ، ومتجاهلة ان النبات كي ينمو ويثمر تجب العناية به في مجاله الذي غرس فيه ، وان كل محاولة لنقله من موضعه الى موضع اخر يختلف عن الموضع الاصلي في كل شيء ـ في طبيعة التربة .. وفي وجود امكانية النمو ... واخيرا « المناخ » اللازم والضروري من اجل حياة النبات ـ انما يؤدي الى اعاقة نمو النبات .. وذبوله .. وبالتالي الى موته ... وهكذا الشيوعية ـ تماما ـ اذا نحن حاولنا ان ننقلها من بيئتها الخصبة ـ اذا كانت حقا خصبة كما يدعون ـ الى بيئتنا « غير الخصبة » فان شيئا واحدا ينتظرها لا غير : هو الموت .. وانعدام وجودها الذي قد يؤثر على وجودها في البيئات الخصبة ايضا ..

نقول ان محاربة الشيوعية كعقيدة لا يمكن ان تكون ـ كما يقول الدكتور صائغ ـ الا بعقيدة اخرى تستطيع ان تؤمن للانسان من الهناء والرفاهية اكثر مما تقدم له الشيوعية .. ولكن الشيء الاساسي الذي نختلف فيه مع الدكتور صائغ هو قوله بأن هذه العقيدة ليست موجودة ، وعلى رجال الفكر في الوطن العربي ان يعملوا على ايجاد هذه العقيدة التي يفتقر اليها المجتمع العربي المثالي الذي تطمح الى بنائه القومية العربية لابناء الامة العربية .. وان الفراغ العقائدي قائم يتركه غموض العقيدة وعدم وجودها .. وشمولها الكلي. بينما نرى نحن ان الوضوح الذي احيطت به القضية العربية ـ في الوقت الحاضر ـ لم يسبق له مثيل في اية قضية اخرى في التاريخ السياسي .. وان الشعائر التي يمكن ان تروي ظمأ المتعطشين من جماهير الشعب العربي الى الايمان بمثل اعلى واضح يدعو الى التفاني ويفعل في القلب والضمير ... لم تعد شعائر مزيفة .. واذا كانت هذه الشعائر تزيف على نطاق واسع قبل قيام الجمهورية العربية المتحدة ، ووجود قيادة جمال عبد الناصر ... فلقد اصبح من الصعب جدا تزييفها بعد قيام هذه الجمهورية ووجود القيادة ...

ولقد اصبح الطريق واضحا جدا ... وكل محاولة من شأنها ان تشوه حقيقة هذا الطريق ، وتطمس معالم وضوحه بالابهام والغموض انما هي محاولة مجرمة تسيء الى القضية العربية وتجرها الى الوراء وتعيق سيرها وتقدمها المحتومين ... فقيام الجمهورية العربية المتحدة ليس عاديا في التاريخ.. واقل ما يقال فيه انه بعث للامة العربية تمخض عن نضال الشعب العربي وكفاحه الطويل الذي ما زال يعمل له منذ وجد التاريخ ... وكذلك قيادة ناصر ، ليس وجودها شيئا عاديا ، او حادثا كبقية حوادث التاريخ البطولي ، وانما هي نتيجة عميقة لتفاعل القدر مع التاريخ الذي لا يتم الا في كل عدة قرون مرة واحدة .. وهذا يعني ان الطريق الذي تسير عليه الجمهورية العربية المتحدة بقيادة ناصر انما هو طريق بعث الامة العربية الذي انتظرته الاجيال مدة طويلة وناضلت من اجله جماهير الشعب العربي نضالا مريرا ... ولانه تفاعل القدر مع التاريخ فقد تحتم على كل عربي مخلص لعروبته ، ومؤمن بحق امته بالحياة الحرة الكريمة ... ان يعمل للحفاظ عليه لانه يمثل كيانه الذي ليس شيئا اخر غير جزء من هذا القدر ... وجزء من هذا التاريخ ... ومن المعروف ان مادة هذا البعث العربي ليستغير النضال الشعبي الذي قدر ان تكون طليعته ـ هذه المرة ـ جماهير الشعب العربي في مصر وسورية التي آمنت ان ثمرة النضال هي ـ حتما ـ الوحدة العربية الشاملة التي ان تحققت اليوم بين قطرين عربيين متحررين فستتم غدا ـ لا محالة ـ بين الاقطار العربية الاخرى التي تسبق غيرها الى التحرر والاستقلال ... ومن هنا يتضح لنا دليل اخر على ان القضية العربية وحدة قائمة في ذاتها لا يمكن تجزئتها اذ نلاحظ ان الشعب العربي قد ربط ربطا اصيلا وعميقا بين وحدته وبين تحرره من الاستعمار وفساد الاوضاع في الداخل ... لان الوحدة من جهة والاستعمار وفساد الاوضاع في الداخل من جهة اخرى ، لا يلتقيان ، والسبب بسيط جدا : فالوحدة تعني موت الاستعمار وخنق الفساد لانها تعني التحرر من هاتين الافتين والقضاء عليهما ... والمعروف ان اعداء الشعب العربي في الداخل اشد خطرا على قضيته من اعدائه في الخارج لان ابناء الوطن الذين يبيعون انفسهم وضمائرهم للاجنبي ويخرجون بالتالي عن ارادة شعبهم مضحين باغلى المصالح والاماني القومية في سبيل مصالحهم الخاصة ، هم خطرون بقدر مايحسبون انفسهم على القضية .. وقد قدر للامة العربية ـ بما لها من اصالة وعمق ـ ان ينحصر هؤلاء الخونة والعملاء في حفنة صغيرة من الحكام الواعين في عدائهم للوحدة ، وقلة من الحزبيين المنحرفين الذين خدعوا الشعب يوم كان جاهلا ان طريق النضال الذي انتهى الى الوحدة والتحرر ، ينتهي بداهة الى الاشتراكية .. وان الوحدة بدون تحرر ، كالتحرر بدون وحدة يبقى ناقصا ، وان التحرر بدون اشتراكية ، كالاشتراكية بدون تحرر تبقى مشوهة بكون وجودها مهددا دوما اذا لم تحافظ عليه بالرباط الروحي الذي هو الوحدة ..

وهكذا نصل الى القول بان القضية العربية التي يعتقد البعض خطأ انها غامضة الملامح ، انما هي غاية في الوضوح ، وهل اوضح

من القومية العربية المتحررة التي تعرف اعداءها من مستعمرين في الخارج ، وخونة وعملاء وانتهازيين في الداخل ؟؟ وان الطريق الذي اعتبروه مبهما ليس اوضح منه طريق : وهل اوضح واجل من نضال الشعب العربي في الجزائر وعمان والعراق من اجل الحرية والاستقلال ؟ وان العقيدة ذات المحتوى المفهوم ليس غير الاشتراكية العربية التي تحرر الانسان العربي من جور الاقطاع ، وظلم الرجعية ، وتؤمن له حدا كافيا من العدالة والرفاهية ..

ان الفراغ العقائدي المزعوم تستطيع ـ على ما اعتقد ـ ان تملاه الوحدة .. والحرية .. والاشتراكية .. وان العقيدة التي تستطيع ان تجابه الشيوعية ، وتقاومها ، وتقضي عليها هي الاشتراكية العربية التي انتقلت من حيز القول والنظريات الى ميدان التطبيق والواقع .. وفي جمهوريتنا ـ لو اتسع المجال أمثلة كثيرة تأتي برهانا صادقا واكيدا على نجاح الاشتراكية ، ومدى ملاءمتها للواقع العربي ، وانسجامها مع أهداف الشعب العربي في الوحدة والحرية ..

اما انتحال العقيدة صفة الشمول الكلي ، فاذا كان المقصود بها الزعم بامكانية قيام الوحدة بدون التحرر ، والقدرة على التحرر دون توحيد النضال ، وايجاد الاشتراكية بعد قيام الوحدة او بدون التحرر : فاننا نقول بان امكانية القومية العربية على البقاء انما تكمن في هذا الشمول الكلي الذي ربط ربطا قويا وعميقا بين الوحدة والتحرر والاشتراكية ... وان محافظتها على وجودها وانقاذ الانسانية كلها انما يتصل اتصالا اصيلا بهذا الترابط العميق بين مقومات القومية العربية هذه ... وان اية محاولة للفصل بين مرحلة واخرى انما هي محاولة تجزئة للامة ذاتها ...

اما النظرة السطحية التي يبدو للبعض فيها سبق الوحدة للحرية او هذه للاشتراكية وترجمته انفصالا يمكن ان تتحقق الغاية بدونه ، فهذا وهم ما بعده من وهم ، اذ ان من البديهي ان التطبيق لا يأتي دوما صادقا كل الصدق ، متفقا كل الاتفاق مع الخطة والتصميم الموضوع له ، فأحيانا يرجح مطلب على اخر ، وتكون الظروف في بعض الاحيان سببا في هذا التفاوت بين مطلب واخر لا يجوز الفصل بينهما ولا التراجع .. فالاشتراكية ليست ارجح من الوحدة ، والوحدة ليست افضل من الاشتراكية ، ولا يمكنها ان تحافظ على ديمومتها ان هي استغنت عن الاشتراكية وابتعدت عنها .. وفي التاريخ وحدات كثيرة قامت على اساس رجعي اقطاعي تعصبي .. وعلى اساس الاستغلال ، واحتقار الفرد والمواطن ،والحرية .. يحدثنا عنها التاريخ بانها فشلت جميعها ، لان النظر الى الوحدة كصنم يستطيع ـ لوحده ـ ان يحقق رسالة الامة ليس صحيحا ، ولا مضمونا ،ان لم نقل انه اسطورة وخرافة .. وكل وحدة لاتظهر ملامحها منذ البداية يكون نضال ابنائها مشلولا عاجزا عن تحقيق الغاية والوصول الى الهدف ـ ولقد ظهرت هذه الملامح في حركة البعث الثورية النضالية عندما اعلن منذ البدء ارادته في بعث امة حرة كريمة تؤمن بالانسانية والقيم العليا .. لها رسالة .. رسالة خير للانسانية جمعاء .. ملامح هذه الحركة الثورية النضالية هي : الوحدة .. والحرية .. والاشتراكية ..

ميشيل جرجوس

«الضوء الرمادي» والقضية العراقية

بقلم ابراهيم ونوس

.. لم نر مفكرا او صحفيا من مفكرينا يبحث قضية الثورة العراقية وملابساتها وما احاط بها من غموض وتعمية ممن عندهم الاطلاع على امورها وممن عاشوا داخلها وشاهدوا بأعينهم جل حوادثها او حتى الذين لديهم القدرة على الاستنتاج والتعمق من القوميين العرب في كافة أقاليم الوطن العربي على مستواها الواقعي والجدي .

.. وكل ما سمعناه او قرأناه او خضنا الحديث فيه او استنتجناه كان غموضا يلف القضية العراقية ويزيدها ابهاما ويعطينا افكارا وصورا مشوهة عن القوميين العرب في العراق اقل ما يلصق بذهن المرء منها «اللامبالاة» والجبن والغباء السياسي والثوري وعدم فهم للقضية التي يعملون من اجلها وغير ذلك مما يفهمه الانسان العادي. وهذا بالتأكيد ما يريدنا الاخصام في الطرف الحاضر ان نعرفه . وعندما اقول الاخصام اقصد الثلاثي الجديد : الشيوعية والاستعمار والصهيونية . وكان كل ما يهم القوميين العرب هو الحماس والفرح في بدء الثورة . ثم الوقوف امام رصاص وسكاكين وحبال الشيوعيين مكتوفي الايدي .

.. أهذه صورة القومي العربي في العراق ؟.. أهذه صورة افراد الحزب الوحيد في الوطن العربي الذي يتبنى القضية العربية ككل قومي واجتماعي « حزب البعث العربي الاشتراكي » صاحب المدرسة الثورية المعروفة ؟ أهذه صورة المناضلين العرب في العراق الحبيب ؟ . وكان العربي في العراق أقل عقيدة وشجاعة وفهما للقضية العربية منه في كافة الوطن العربي ..

.. صحيح ان الثورة العراقية فاجأت الجميع حتى اسكرتنا وتركتنا نعيش احلامنا عذابا طروبة . ولكن شعبنا كان اكثر تحفزا مع البهجة والفرحة . لم ينم لكي يظل حالما . وانما كان يعد العدة لشيء ضخم . ووقف في كل الجبهات يقرر المصير العربي الواحد . ولم تعمه فرحا ثورة العراق ولم يستكن الى الدعة والسذاجة « ونظم الشعر في الحبيبة » ان هذا ليس من المستوى البطولي في شيء . ولن يكون ابدا مستوى قيادات الشعوب المؤهلة للنجاح من هذا النوع . البطولة العربية في ظرفها الحاضر ان تشعر انك تحمل آلام امتك على كاهلك وتحس بالثقل وعظم الحمل . البطولة حتى خلال نظمك الشعر . ان كنت شاعرا حاملا السيف لتحمي الشعب العظيم الذي خلقت للعمل من اجله . لا تترك هجينا ضعيفا في الميدان يدوس قيمك . ويصهر جهادك . ويقضي على ثوريتك واصالتك . البطولة يقظة وانتباه. البطولة اشياء كثيرة على العربي حملها حتى نهاية ايامه في الحياة .

.. كانت بطولة حقة عربية صميمة بطولة الشواف . تذكرنا ببطولة الغافقي وقتيبة بن مسلم الباهلي وصلاح الدين الصباغ . وليس كما صورها « احد » من مر على عدد كبير من سجون العراق بعد ثورة الشواف وادعى انه رافقها وسمعناه يحاضر عنها في احدى المناسبات . وعن المستوى البطولي للقومي العربي في العراق . حتى حسبنا ان القوميين العرب هناك ليس لديهم قيم يقاتلون من اجلها . واصبحنا نتساءل: لماذا يقاتلون ويقتلون اذا ؟ ثم قال امام عدد من الاشخاص العاملين باخلاص في الحقل القومي العربي باللهجة العراقية : « الشواف سكير اهوج » ثم قال عنه بعد فترة في تحقيق صحفي نشرته جريدة عربية واسعة الانتشار:

طبعت على مطابع :
دار الغد للطباعة والنشر
تلفون ٢٢٩٢١

« انه بطل ثائر » بعد ان اعطاه صورة هزيلة خلال التحقيق الصحفي المذكور . فكيف نامل من مثل هؤلاء اعطاءنا المعنى الحقيقي لبطولة القومي العربي بالعراق ؟

انها صورة زائفة اذا تلك التي نسمعها . ان البطولة العربية لم تظهر كما ظهرت بالعراق . لا فرق بينها وبين بطولة الجزائر وبور سعيد . انها تأتي من نبع واحد عذب صاف . وانما لم يتح لنا من يسجلها . من يرسمها . من يجسمها بحقيقة وامانة . لا كما صورها لنا الاستاذ مطاع الصفدي في قصة « الضوء الرمادي » وهو الذي عهدناه قاصا قوميا منذ « صفعة سوط » .

نحن لا نناقش الاستاذ الصفدي في الاسلوب والشكل والمضمون وبناء القصة الموضوعي . ولكننا نناقش الفكرة التي بنى عليها صورة البطولة للشباب العربي في العراق . وكأنه ينقل صورة لانباء العراق عن الوكالات الاخبارية العدوة . ولولا ثقتي بعروبة الاستاذ الصفدي لقلت : الانباء التي رسمت في موسكو .

.. ولعل قارىء « الضوء الرمادي » يشعر ان الكاتب اعطى للمرأة العربية في العراق صورة بطولية فذة ونادرة . الا بين النساء العربيات وقصة جميلة ورجاء ليست ببعيدة . والحقيقة ان بطولة المرأة تطفى في حوادث العراق الاخيرة على غيرها . فهذه حفصة العمري بنى عليها الشاعر الكبير سليمان العيسى قصيدة ملحمية رائعة تشبه الى حد اخت بطل « الضوء الرمادي » حتى كأنها منقولة عن حادثة واحدة . مما يدل على ان فتاتنا العربية تملك اللذة التي تجعلها في مصاف رجالنا . والمرء يلاحظ ان هناك خطة مرسومة من قبل ذكاء خارق لتشويه الحقائق ومحو البطولات العربية في العراق ، واظهار اولئك الشباب الثوري المقاتل بعنف ولا هوادة بمظهر السذاجة والبساطة والشاعرية الحالمة على شواطىء دجلة ، تاركين دفة سفينة الثورة العراقية « للافاعي ».

.. لقد جعل الاستاذ الصفدي بطله يتنبأ بالمصير على لسانه قبل ثورة العراق بزمن : « .. واما نحن هناك فما زلنا طاقة كامنة كبرى . طاقة تخيفني ستجرف نفسها وابطالها . ستتحول ضد ذاتها ان لم نستطع قيادها وتوجيهها في الوقت المناسب » .

.. ان من يقرأ هذه الكلمات يشم منها رائحة المستقبل بالنسبة للقوميين العرب . وهذا التقدير الظاهر لا يمكن ان يصدر عن انسان بهذه الدقة التي ظهرت بعدئذ . الا بعد ما حصل بالعراق ما حصل . نتيجة لغموض التنظيم السياسي . ومفاجأة الثورة . ووجود خطة شاملة لدى الخصم « الشيوعيين » ومن لف لفهم تقودها من خارج لهدف بعيد تضيع امامه اقوى العوائق ما لم يباده بتنظيم اقوى ويجابه بصلابة ليتحطم بها ... الفشل ليس بتحول الطاقة القومية ضد ذاتها . ولا بجهل للمسائل السياسية . او سذاجة وطيبة . وانما كان بالوثوق باشخاص ربما كانوا هزيلين امام فكرتنا الصلدة وعقيدتنا الصريحة .

.. هذا شيء قليل من كثير يمكن للمرء استنتاجه . بطولة نادرة اصيلة تضيع . حقائق تجابه خداعا . مثل تقابلها دناءة وخسة . ثم يقضي على البطولة والحقيقة والمثل وينتصر اعداء العراق العربي . والاسباب التي يستطيع المرء ابداءها نتيجة لهذا الانتصار كثيرة .. يصعب بيانها الان.

.. وبعد نكبة القوميين العرب في العراق ما الذي حدث ؟.. كانت ثورة الشواف ردة قومية وجوابا للتحدي . ومحاولة انتحارية للقضاء اولا على المؤتمرين الشيوعيين في الموصل . ومن ثم ثانيا القضاء على حكومة عبد الكريم قاسم . والمصادر الصحيحة التي نأخذها عن ثورة الشواف هي من الذين خاضوا المعركة الى جانبه وصوروا بطولاتها . لا كما صورها صحفيون مدعون مغرضون .

والقوميون العرب .؟ ما هو عملهم لمناصرة ثورة الشواف في جميع انحاء العراق ؟ سيناصرونها بالدم. وفعلا فقد قدموا الدماء الكثيرة عن رضا في سبيل نصرتها . فالى اي مدى استطاع الاستاذ الصفدي ان يظهر لنا انتصار القوميين العرب لثورة الشواف العربية واسلوبهم العملي الجديد ! .

.. هل نزع الاستاذ الصفدي عن بطله الصفات السابقة ؟ ـ والتي سببت الفشل ـ شاعرية ، سذاجة ، لا مبالاة في بعثه الجديد لعمل ثوري جديد .؟ لقد تركه وهو الذي ينتظر منه ان يؤازر بعد حين ثورة الشواف في شوارع بغداد ، يعاود قراءة قصيدة قديمة له . حتى وكأنه يحاول ان يفهمنا سلفا تكرر الفشل . وكأنه يقول : انا ما زلت ساذجا ، لا مباليا شاعرا . حتى اخته بدأت تهزأ من بطولته الشعرية بعد المأساة وتسلم الشيوعيين الحكم . ولم يستطع ان يدافع عن نفسه فاتهم اخته بالغيرة من ذات « العيون الرمادية » .

..لو ان الاستاذ الصفدي جعل من بطله حصانا عربيا اصيلا كما ثم نهض من كبوته بعزم وتصميم جديدين ، لو انه اظهره بمظهر من تعثر ثم قام من عثرته اكثر قوة ، منتهجا خطة مرسومة اكثر ثورية تساعده على النصر او الموت لحق علينا التفاؤل والصمت . وانما اشعرنا ان بطله ظل كما هو ـ والخطأ سابق ـ وهو على اعتاب عمل ثوري جديد فيه تحقيق آمال امة كبرى .

..مستوى البطولة العربية في العراق لم تصورها هذه القصة . انما شوهتها ومسحت وجهها الحقيقي الرائع وجعلتها ضبابا . اما الحقيقة، بطولة شعبنا العربي في العراق فستظهر جلية ناصعة ولو بعد حين.

الاقليم الشمالي ـ سلمية — **ابراهيم ونوس**

حول « مدينة بلا قلب »

بقلم غازي القصيبي

كتب الاستاذ محي الدين محمد بحثا قيما عن «مدينة بلا قلب» للشاعر حجازي ، بدأه باستعراض ما قاله رجاء النقاش ، وفجأة وجدناه يصدر حكما راسخا على الديوان « ليس الا محاولة ذاتية جدا وشخصية جدا وموجهة بالدرجة الاولى الى التعبير عن الاحساس النامي في قلب الريفي » لم ينكر احد ولا الشاعر نفسه ان الديوان موجه الى التعبير عن الاحساس الريفي .. ولكن الموضوع اعمق من ان ينتهي عند هذا الحد ... ان الغربة واحساس الريفي ليست الا المظهر. اما الجوهر فابعد من ذلك .. انه يمثل معالم حياة الجيل العربي الطالع ، كل ما يقاسونه من جفاف وقسوة وقلق .. نفس القلق الذي وصفه الناقد بانه (ينشلنا من رياضيات العقل والدراسة والرصانة النظرية ليغيب بنا في حصر هائل تكونه دوامة اسئلة كثيرة مثارة) واذا كان الناقد يقرر ان الديوان لايمثل الا الشاعر (والريفيين الاخرين الذين يفدون على الازهر والجامعة) فلا اعتقد ان الكثيرين يشاطرونه الرأي .. لقد وجد جميع الرفاق من الشباب انفسهم على صفحات الديوان .. وجدوا ضياعهم وغربتهم وتحرقهم الى الحنان .. وجدوا حيرتهم المكتومة تنفجر في ابيات دامعة .. رغم ان احدا منهم ليس ريفيا ولم يهاجر من قريته ..

رغم انهم ولدوا جميعا في المدينة فالمسالة ليست مسالة ريف او مدينة انها مسالة جيل ... والخوف هنا ليس خوف الريفي من الحضارة او فزعه من الترام وانما هو الخوف من المدينة .. من ذلك العالم الغريب المجهول الذي تختلط فيه المثل بالذنوب . ان الفرد منا ينطلق الى ذلك العالم فتبهره انواره ويقف مشدوها امام صراع لا ينتهي .. واقدام كثيرة تكاد تسحقه .. ويشعر بالوحدة .. والجوع .. والضياع ... يتحرق شوقا الى الحنان .. ولكن اين الحنان في مدينة بلا قلب ؟! .. هذه هي حقيقة الديوان ولم يبالغ رجاء حين قال انه « وثيقة تشهد على عصرنا وتصور جيلنا » واذا كان الناقد لم يفلح في ان يرى نفسه على صفحات الكتاب فلعل السبب الوحيد انه يعيش بمعزل عن آلامنا وآمالنا .. او ان ثقافته ودراساته ـ الغزيرة كما يظهر ـ حددت له مفهوما معينا للقلق فما انطبق عليه كان قلقا (هائلا) كما يقول .. والا فالامر لايعدو انيكون محاولة ذاتية جدا وشخصية جدا .. ولعل الناقد قد احس بقسوة حكمه وارتجاله فعاد يعتذر بانه لا يمكن حتى لشكسبير او اليوت الخ .... ان يصبح شاعرا عظيما من اول عمل فني ..والقارىء العربي الذي وجد في حجازي لسانه الناطق لا تهمه نتيجة المقارنة... ولا يهمه كون شاعرنا عظيما او مجرد حقيبه متخمة بالوعود .. بقدر ما يهمه انه اهتدى اخيرا الى شعر طالما افتقده .. شعر يصور خلجاته واحساساته التي ضاعت في طوفان من روائع شكسبير واليوت الخ... ولا ادري لماذا داخلت الرقة قلب الناقد فعاد يطمئننا ان الشاعر من اكثر الشعراء مهارة وارحبهم افقا واعمقهم نفسا .. وان ديوانه ، باستثناء احدى القصائد ـ يناطح الناقدين والحساد .. الحمد لله وشكرا ياسيدي ..

وبعد ان يفرغ الناقد من حكمه يقسم الديوان الى اربع مراحل مرتبة حسب تاريخ نظمها :

المرحلة الاولى : بدأ بقصيدة (الطريق الى السيدة) فقرر ان احساس الشاعر ليس الا (احساسا ضيقا بالوحدة والفقر والجوع) ولست ادري لماذا مر على هذه النقطة مرور الكرام ولم يقرر ان عصرنا براء من هذا الشعور .. وانه شعور خاص بالشاعر (والريفيين الاخرين الذين يفدون على الازهر) غير انه لم ينس ان يظهر لنا مدى اطلاعه فاتحفنا بابيات لشاعر امريكي فقراناها شاكرين .. وبعد ذلك نفاجأ بحكم خطير (ان المصرية سمة تظهر في قصائد حجازي القديمة وتختفي كلية من قصائده الحديثة بسبب ارتباطه المذهب السياسي وسوف يؤثر ذلك في انفعالاته بشكل يخشى منه) واذا صرفنا النظر عما في هذا الحكم من نظرة اقليمية ضيقة تتنافى مع نظرة الجيل الذي يصر الناقد على ان حجازي لايمثله .. اذا صرفنا النظر عن هذا فلا ادري لماذا سيؤثر المذهب السياسي في انفعالات الشاعر بشكل يخشى منه ؟! ثم ان الناقد ينتقد المحاولة الذاتية جدا والشخصية جدا .. فلماذا يصر على السمة المصرية .. المصرية جدا ؟؟ لعل علم هذا في دراسته القيمة لديوان اغنيات مصرية .. تلك الدراسة التي زف الى القراء بشرى فراغه منها .. ينتقل الناقد بعد ذلك الى (مذبحة القلعة) ولا تهمني الان مناقشة ارائه فيها فقد تكون صائبة ولكنني اعجب من اصراره على مقارنة شعر حجازي بشعر اجنبي لينتهي الى ان حجازي يقف امامه عاجزا عن ان يصور لنا حتى الالم ..

المرحلة الثانية : بدأ الناقد فقرر ان العام السادس عشر تنتمي (الى ضباب اللاتحدد والرمانتيكه البالغة) وهذه القصيدة لم تعد بحاجة الى مزيد من الكلام عنها بعد ماقاله رجاء .. ثم يستنكر الناقد تحذين الشاعر من العودة الى تلك الايام والسبب (انها دعوة متاخرة فقد اجتزنا كأصدقاء للشاعر تلك السل بمسافة بعيدة !!) أفادك الله ..

ويقتضي الانصاف ان اقول ان الناقد وفى القصيدة الاخرى (الى اللقاء) حقها كاملا وان كان لم ينس ان يقول ان ساندبورغ سبق الشاعر في الدعوة الى نبذ المدنية والعودة الى القرية .. والناقد لايطلق الكلام جزافا بل يحدده لفائدة القراء فيعلق ان ذلك في قصيدته الجميلة (البراري) ..

المرحلة الثالثة : قال الناقد ان قصيدة (قصة الاميرة والفتى الذي يكلم المساء) ليست مطلقا حكاية تناقض بين السلوك والعقيدة .. بل (انها رمز حي للدينة الجافة التي تلفظ النقاء العفوي وتتمسك بالمادة) ترى هل قال رجاء شيئا غير هذا ؟.. ان العقيدة في النهاية تعني الايمان .. والايمان هو النقاء .. النقاء العفوي .. والسلوك بدوره ينتهي الى ان يكون تمسكا بادة .. ونحن هنا امام شاعر يؤمن بالنقاء .. ثم يفاجأ بفتاة تتمسك بالمادة .. فيصطدم السلوك بالعقيدة او بالنقاء العفوي ..

ومن الغريب حقا ان يتمسك الناقد فـ ي كل لحظة ان كل ماقاله الشاعر معاد مكرور فـ (جعلت عيداني مرايا) ذكرته باغنية شعبية اردنية .. وتجربة الشاعر سبقه اليها تاج السر الحسن .. اما اغنية انتظار ففيها (شيء) من اغنية ولاء لصلاح عبد الصبور ولست

ادري ماهو هذا الشيء اللهم الا ان كان كلمة (محملك) التي ترددت في القصيدتين .

وينتقل الناقد الى قصيدة عن سوريا فيندد بالالتزام السياسي وما يفعله بالشاعر ونغمته وأوزانه .. لماذا ياسيدي ؟ مادخل الالتـــزام السياسي في قصيدة قيلت عن سوريا ؟ هل تعتقد ان حجازي حين قال قصيدته كان يعتقد انه يؤدي واجبا مفروضا عليه ؟.. كلا .. ففي الفترة التي كانت سوريا تعاني خلالها من الحصار .. كان جميع العرب يعيشون معها اروع لحظات كفاحها .. واذا قال الشاعر قصيدته في هذه الظروف فلانه يحس ان بيته مهدد.. ان اخته ورفاقه وتاريخه يتعرضون للخطر ..

واذا لاحظ الناقد ظهور تعبيرات خطابية منشأها كما قـال رجـاء النقاش اتصال الشاعر بالجماهير فهذا لايعني ان القصيدة فقدت كـــل قيمتها وان على القراء ان يذهبوا الى سقر !.. ماذا تريد ان تقـــول ياسيدي ؟ هل يحيا الشاعر بلا عقيدة .. بلا مذهب ، بلا مبدأ .. هـل يكتم كل ماتثير العروبة في نفسه من احاسيس مخافة ان ينبري له ناقد مفضال فيتحسر على مايفعله الالتزام السياسي بالشعراء ؟؟

المرحلة الرابعة : يبدو ان ثقافة الناقد تثقل كاهله .. فعاد ينقـــد تكرار الافكار ويعزوها ببساطة الى قلة المحصول الثقافي .. ولا اعتقـد ان المحصول الثقافي في نظره يعني اكثر من قراءة روائع ساندبورغ .. خصوصا وقصيدته الجميلة (البراري) !..

ويتحدث الناقد بعد ذلك عن النثرية :

والسيف اذا دخل المعركة الباطلة تبلد
صار عصا في كف الملحـــد ..

ثم يقول (ولا ادري نوعية هذا التشبيه .. ولا نعرف في التاريـــخ عصا متحوله سوى عصا موسى) والواقع انني استغربت ان يقـف ناقدنا المزود بخزائن الثقافة حائرا في فهم (نوعيـة) التشبيـه .. ان الشاعر يتكلم عن الكلمة ويدافع عنها ويهاجم اولئك الذين يدنســون كرامتها ويزجون بها في ميادين لاتليق بقدسيتها .. ان الكلمة سيف .. فاذا دخلت معركة باطلة تبلدت وتحولت الى عصا .. ترى اي غرابـــة هنا ؟ واي علاقة بين هذا وبين عصا موسى ؟!

والناقد بعد ان صال وجال عاودته رقة القلب مرة اخرى فقـــرر ان (بغداد والعرب) عمل فني جيد جدا ولعله نسى ماقاله عما يفعل الالتزام السياسي بالشعراء ونغمتهم واوزانهم .

والان .. ارى لزاما علي ان اعتذر للناقد الكبير ، واقر انني معترف بضالة ثقافتي وعجزي عن مناقشة آراء صدرت بعد دراسة عميقة وبحث مستفيض .. والواقع انه ليس من حقي مطلقا ان اعقب على الناقد مـن وجهة النظر الفنية ، كل ماهنالك انني لاحظت ان الناقد يصر على ان الشاعر يبعد عن جيلنا فاحببت ان اقرر انني كفرد من هذا الجيل ارى فيـــه نموذجا صادقا لحياتي وحياة رفاقي .. فدفاعي ليس دفاعا عن فن او عن شعر بقدر ماهو دفاع عن ملامح حياتنا العربيـة التـــي طالعتهـــا في ديـوان حجـازي .

واخيرا .. اذا كانت تجربة الكتابة عن ديوان الشعر ـ كما يقـول الناقد ـ اسخف بكثير من تجربة الرسم باصابع القدمين ، فان تجربـة الكتابة عن الكتابه ستكون اشد سخفا من هذه وتلك .

ولكل من الشاعر والناقد احترامي وتقديري .

كلية الحقوق ـ جامعة القاهرة غازي عبد الرحمن القصيبي

منشورات
مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني
بيروت ـ ص.ب ٣١٧٦ ـ تلفون ٢٧٩٨٣

سلسلة الجديد في القراءة العربية :

جزءان لروضة الاطفال

خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

سلسلة الجديد في الادب العربي :

اربعد اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا)

سلسلة القواعد العربية الجديدة :

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

سلسلة دروس الاشياء والعلوم الجديدة :

خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

الجديد في الجغرافيا :

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

جزءان لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا)

سلسلة القواعد العربية :

في اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي تاليف ا. ديب (الشهادة الابتدائية)

سلسلة التاريخ الجديد :

ثمانية اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والتكميلي (الشهادة الابتدائية والتكميلية)

سلسلة الحساب الجديد :

سبعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

لمرحلة التعليم التكميلي (شهادة البريفه):

PHYSIQUE, CHIMIE, ALGEBRE, GEOMETRIE.

الجديد في البحث الادبي (لمنهج البكالوريا):

ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره (لمنهج البكالوريا)

MON NOUVEAU LIVRE DE GRAMMAIRE

ثمانية اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والعالي (الشهادة الابتدائية والتكميلية)

MON NOUVEAU LIVRE DE LECTURE ET DE FRANÇAIS.

جزءان لمرحلة الروضة ـ خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية)

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية)

THE NEW DIRECT ENGLISH COURSE.

احدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية .

جزءان لمرحلة الروضة

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي

THE NEW DIRECT ENGLISH GRAMMAR

احدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية في ثلاثة اجزاء

الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية:

DICTEES CHOISIES

حساب ، انشاء ، تاريخ ، جغرافية ، املاء فرنسي ، املاء انكليزي